وقوله (ويقطعون ما أمر ا به أن يوصل) قيل ما أمر ا به أن يوصل هو قرابة الأرحام يعني وحيث ترجح أن المراد به بعض عمل اليهود فذلك إذ تقاتلوا وأخرجوا كثيرا منهم من ديارهم ولم تزل التوراة توصي بني إسرائيل بحسن معاملة بعضهم لبعض . وقيل الإعراض عن قطع ما أمر ا به أن يوصل هو موالاة المؤمنين . وقيل اقتران القول بالعمل . وقيل التفرقة بين الأنبياء في الإيمان ببعض والكفر ببعض . وقال البغوي يعنى بما أمر ا به أن يوصل الإيمان بمحمد A وبجميع الرسل . وأقول تكميلا لهذا إن مراد ا تعالى مما شرع للناس منذ النشأة إلى ختم الرسالة واحد وهو إبلاغ البشر إلى الغاية التي خلقوا لها وحفظ نظام عالمهم وضبط تصرفاتهم فيه على وجه لا يعتوره خلل وإنما اختلفت الشرائع على حسب مبلغ تهيئ البشر لتلقي مراد ا تعالى ولذلك قلما اختلفت الأصول الأساسية للشرائع الإلهية قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين) الآية . وإنما اختلفت الشرائع في تفاريع أصولها اختلافا مراعى فيه مبلغ طاقة البشر لطفا من ا تعالى بالناس ورحمة منه بهم حتى في حملهم على مصالحهم ليكون تلقيهم لذلك أسهل وعملهم به أدوم إلى أن جاءت الشريعة الإسلامية في وقت راهق فيه البشر مبلغ غاية الكمال العقلي وجاءهم دين تناسب أحكامه وأصوله استعدادهم الفكري وإن تخالفت الأعصار وتباعدت الأقطار فكان دينا عاما لجميع البشر فلا جرم أن كانت الشرائع السابقة تمهيدا له لتهيئ البشر لقبول تعاليمه وتفاريعها التي هي غاية مراد ا تعالى من الناس ولذا قال تعالى (إن الدين عند ا الإسلام) . فما من شريعة سلفت إلا وهي حلقة من سلسلة جعلت وصلة للعروة الوثقى التي لا انفصام لها وهي عروة الإسلام فمتى بلغها الناس فقد فصموا ما قبلها من الحلق وبلغوا المراد ومتى انقطعوا في أثناء بعض الحلق فقد قطعوا ما أراد ا وصله فاليهود لما زعموا انهم لا يحل لهم العدول عن شريعة التوراة قد قطعوا ما أمر ا به أن يوصل ففرقوا مجتمعه .

والفساد في الأرض تقدم الكلام عليه عند قوله تعالى (ألا إنهم هم المفسدون) ومن الفساد في الأرض عكوف قوم على دين قد اضمحل وقت العمل به وأصبح غير صالح لما أراد ا من البشر فإن ا ما جعل شريعة من الشرائع خاصة وقابلة للنسخ إلا وقد أراد منها إصلاح طائفة من البشر معينة في مدة معينة في علمه وما نسخ دينا الإلتمام وقت صلوحيته للعمل به فالتصميم على عدم تلقي الناسخ وعلى ملازمة المنسوخ هو عمل بما لم يبق فيه صلاح للبشر فيصير ذلك فسادا في الأرض لأنه كمداواة المريض بدواء كان وصف له في حالة تبدلت من أحوال مرضه حتى

أتى دين الإسلام عاما دائما لأنه صالح للكل .

وقوله (أولئك هم الخاسرون) قصر قلب لأنهم ظنوا أنفسهم رابحين وهو استعارة مكنية تمثيلية تقدمت في قوله تعالى (فما ربحت تجارتهم) . وذكر الخسران تخييل مراد منه الاستعارة في ذاته على نحو ما قرر في ينقضون عهد ا فهذه الآية ظاهرة في أنها موجهة إلى اليهود لما علمت عند قوله (وما يضل به إلا الفاسقين) ولما علمت من كثرة إطلاق وصف الفاسقين على اليهود وإن كان الذين طعنوا في أمثال القرآن فريقين : المشركين واليهود كما تقدم وكان القرآن قد وصف المشركين في سورة الرعد وهي مكية بهذه الصفات الثلاث في قوله (والذين ينقضون عهد ا من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر ا به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) فالمراد بهم المشركون لا محالة فذلك كله لا يناكد جعل آية سورة البقرة موجهة إلى اليهود إذ ليس يلزم المفسر حمله أي القرآن على معنى واحد كما يوهمه صنيع كثير من المفسرين حتى كان آي القرآن عندهم قوالب تفرغ فيها معان متحدة .

واعلم أن ا قد وصف المؤمنين بضد هذه الصفات في قوله تعالى (إنما يتذكر أولوا الألباب الذين يوفون بعهد ا ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر ا به أن يوصل) الآية في سورة الرعد, E A